كلية : الآداب

القسم او الفرع : تأريخ

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : أ.د أحمد صالح خليفة

اسم المادة باللغة العربية : تأريخ افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of Africa

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: استغلال الافارقة

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : Exploitation of Africans

الاستغلال الذي تعرض له الافارقة :

الرق : - أول بوادر الاستغلال الذي تعرضت له الشعوب الافريقية الرق . وممارسته كان من اقصى ماتعرضت له البشرية من اضطهاد وتعسف في مسيرتها عبر ظهرت تجارة الرقيق نهاية القرن الخامس عشر وكانت تمارس على استحياء في القرن السادس عشر – ثم تأكدت في القرن السابع عشر باعتبارها عملية تعود بالربح وبلغت ذروتها في القرن الثامن عشر ولما كان البرتغاليون اول من كانت لهم ممتلكات في افريقيا (انكولا – غينيا) . وفي امريكا (البرازيل (في الوقت نفسه لذلك كانت لهم تجارة استحياء في القرن السادس عشر ثم تاكدت في القرن السابع عشر الرقيق الخاصة . اما الاسبانيون ولهم ممتلكات ايضاً في العالم الجديد فقد اكتفوا بابرام معاهدات مع الدول الاجنبية التي تولت تزويدهم بالايدي العاملة المستعمراتهم . فلجأوا اولا الى الهولنديين والى الانكليز بعد ذلك ، ثم الى شركة فرنسية كانت تقوم بعملها في خليج غينيا – مع العالم ان الفرنسيين قد عرضوا خدماتهم لبلاد اخرى قبل ان يمارسوا تجارة الرقيق لحسابهم الخاص وتحولت تجارة الرقيق من الجهود الفردية الى نشاط شركات معترف بهم التاريخ فمنذ السنين الاولى لدخول الاوربيين افريقيا بدأوا يأخذون اعداداً كبيرة من الناس يستخدمونهم قسراً في مختلف الاعمال خارج القارة وداخلها وبخاصة بعد ان اكتشف العالم الجديد وظهرت الحاجة الشديدة للايدي العاملة في مزارع قصب السكر والبن وغيرها في الامريكتين بها رسميا (١٨) كان من الحوافز الاخرى وراء تجارة الرقيق عجز البيض عن الاستقرار في الجزر والعمل فيها ، فالمحاولات التي تهدف الى تأقلم الاوربين حتى لو كانوا من الفلاحين - في الجزر تنتهي بنتائج مخيبة.

في الوفيات ١ ١ عوائد قليلة في الارباح) . وعلى العكس من ذلك اتضح ان العائد الناتج من عمل السود اكثر بكثير ، اكدت ذلك المراجع الرسمية الفرنسية بقولها : (ليس هناك ما يسهم في زيادة المستعمرات وزراعة الأرض اكثر من العمل الشاق الذي يقوم به الزنوج) (١٩) ففي المرحلة الاولى لممارسة الرق كان تاجر الرقيق يقدم بسفينته وحال نزوله الارض يتصل على الفور اما بالامير المحلي . او بأحد افراد بلاطه ، المفوضين من قبله لهذه المهمة ، أو بحاكم القلعة الابيض ، وبعد ان يؤدي رسوم البقاء في المرسى والاقامة - يأخذ في المفاوضات المبدئية وتدفع لرجل البلاط الأفريقي كمية من المال في بدء المفاضات وهي غير قيمة المسمرة التي تدفع عند ابرام الصفقة. ولم يكن التاجر من حيث المبدأ ان يشتري من الملوك الافريقيين الا اسرى الحرب الذين يبيعهم مؤسورهم . اذ كان كل ملك يستحوذ ، على قدر منهم يحكم الأمر الواقع وبناء على حق النصر ثم يشتري التاجر

هؤلاء الاسرى. ولم يكن كل ما يبيعه الامير أسرى بالفعل فمنهم ممن يكن الامير لهم العداء او انهم ليسوا من المقربيين له ويرغب في المال ويتعمد بيعهم ذلك بالقبض عليهم وجرهم بالقوة الى سفن الرقيق (٢٠) حيث يتلقفهم المشرفون على السفينة لشحنهم داخلها ، وهؤلاء المشرفون على سفن الرقيق كانوا يجدون المكافآت التشجيعية علي عملهم . فكانت الحكومة الفرنسية مثلا تعطي منها لسفن الرقيق المتجهة الى فريقيا من فرنسا ، ثم تدفع مكافأة اخرى علي كل رأس يصل الى مستعمراتها في جزر الهند الغربية. (٢١) استمرت هذه التجارة امداً طويلا ، وعندما بدأ يقل معين هذه الطاقة البشرية بدأت وسائل اخرى لجمع الرجال غير الاسرى وهو ذهاب مأموري الحكومة المسلحين الى العزل ويعمدوا الى اشعال النار في القرية وعند خروجهم منها فزعين يحيط بهم اولئك المسلحون ويأخذون اكبر عدد . وفي حالات اخرى تكلف الدولة المستعمرة متعهدين يجمعون الافارقة بشتى الوسائل لقاء عمولة تدفع للمتعهد ، ويكون المتعهد في الغالب زعيم قبيلة.
او شخص قوي متنفذ يأخذ الناس قسرا . وفي كلتا الحالتين يؤخذ هؤلاء الأفراد ويساقون على شكل جماعات اذ يسيرون على الاقدم لمسافات طويلة ، وكثيراً ما تربط في اعناقهم عصى طويلة متصلة ببعضها على رقاب واكتاف معظم افراد القافلة البشرية ذلك منعا لهروب احدهم كما توضع علي اكتافهم احمال او بضائع من العاج او غيره مما يرغب المستغلون نقلها من مكان الأنتاج الى مكان التصدير ويباعون اولا الى التجار المحليين الذين يبيعونهم مرة اخرى الى التجار الأجانب - وفي بعض المناطق يباع الرقيق الواحد بعشرة ثيران (٢٢)

استغلال الأيدي العاملة :

بتحريم بعد ان واصل الأوربيون ممارسة الرق واستمرت معاناة سكان افريقية من الاسترقاق بل ازدادت عمليات الاسترقاق شراسة وقساوة . أثار ذلك ضجة كبيرة في انحاء العالم فظهرت جمعيات انسانية تنادى بتحريم الرق في بريطانيا على وجه التخصيص وعقدت مؤتمرات دولية اوربية خاصة اصدرت امراً الرق. وادعت الدول التي كانت تمارسه بالالتزام بهذا القرار الذي صدر عام ١٨٠٧ الا أنها واصلت استغلال الفرد الافريقي بأساليب اخرى. من ذلك اسلوب السخرة المجانية بحجة المصلحة العامة فاذا اراد اصحاب الاعمال الحصول على اليد العاملة تقدموا بطلبهم الى الحكومة الاستعمارية فتعين لهم العمال . ثم ترسل الطلبات الى المديرين المحليين في طول البلاد وعرضها ويجند الزعماء والرؤساء المحليون العدد المطلوب. وكان الرؤوساء اوالزعماء الذين يفشلون في احضار العدد المطلوب يجلدون بلاشفقة. وعلى رجال السخرة ان يطعموا انفسهم ويحضروا ادواتهم معهم . وكثيراً ما يستدعي الرئيس او الزعيم الذي تقع عليه مسؤولية شق الطريق مثلا النساء والاطفال الصغار للعمل لهذا كان

المرء يرى النساء يحملن الاطفال على ظهورهن ، وغيرهن من الحوامل والفتيات وكلهن يحفرون بأدوات بدائية ، ويحملن الاتربة على رؤوسهن .

واذا رفض احد عمال السخرة العمل يسجن ويجلد، وتجري عملية الجلد باستخدام سوط جلدي ـ لكن هناك) البالماكوريا) وهي تشبه القادوم الخشبي طولها عشر بوصات ، وبرأس اسطواني اي سمكه بوصة ونصف وعرضه ثلاث بوصات وعلى كل من جانبي الاسطوانة خمسة ثقوب على شكل الخمسة يضرب الضحية على راحة يديه. ونظراً لقوة الضربة فان الثقوب تمتص لحم راحة اليد ثم تفلته سريعاً مما يسبب للمضروب الما قاسيا وهكذا حتى يتم العدد المطلوب من الضربات ، يتحمل الافريقي التقوي اربع او خمس ضربات وهو ملتزم الصمت لكنه بعدئذ لا يستطيع ان يكتم صراخه (٢٣) ومن اجل اجبار الافارقة على العمل استخدمت ضريبتي الرأس والكوخ في ظل ضريبة الرؤوس يخضع كل ذكر فوق الثانية عشرة ـ بصرف النظر عن دخله فهذه الضريبة لم يكن ينظر اليها من الناحية الاساسية على انها مصدر للدخل انما كوسيلة لاقحام الافارقة في العمل مقابل اجر – وبدأ فرض الضرائب عليهم بصورة عامة قرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبخاصة بعد اكتشافات الماس والذهب في اتحاد جنوب افريقيا واكتشاف المعادن في المناطق الأخرى ، وكان من الصعب في باديء الامر اقناع الأفارقة بمغادرة قراهم والمجيء الى المراكز الصناعية للعمل لدى الرجل الابيض ، الابعد اكتشاف المعادن المختلفة في افريقيا ان حقيقة فرض نظام ضريبة الرؤوس الموضوع لهدف محدد هو دفع الفلاحين الافارقة الى العمل قد اتضحت بجلاء من تصريحات المستوطنين الاروبيين في كينيا . فقد نقل ذات مرة عن احد حكامها سير بر سي جيروارد انه قال: نحن نرى ان فرض الضرائب هو الاسلوب الممكن الوحيد الذي يرغم الافريقي من الاهالي على مغادرة معزله لغرض السعي الى العمل . وبهذه الطريقة فقط يمكن ان تزداد اعباء المعيشة بالنسبة له ان رفع معدل الاجور لن يؤدي الى زيادة عرض العمل بل الى نقصه.